لُطفٌ خفي

بقلم أميرة

وحي القلم

نوفيلا

لطف خفي

أميرة

تصميم:-

داخلي وتنسيق وتصحيح إملائي: رحاب جمال

عمل فريق جروب وحي القلم

https://www.facebook.com/groups/wahy.alqalam/?ref=share_group_link

الفصل الأول

لعله خير

إنها جملة من كلمتين فقط، ولكنها تحمل بين ثناياها الكثير من أنات الألم والصبر التي يتحملها المرء لكي يصل إلى الرضا بقضاء الله.

يقول بثقة في الله وحكمته وتدبيره للأمور بأفضل ما يكن لنا وقد نرى الحكمة وقد لا نراها ولكننا مؤمنين بها، وقد توصلت لهذه القناعة بعدما مررت بالكثير من الابتلاءات والاختبارات التي جعلتني أقول في نهاية الأمر «لعله خير».

دعوني أروي لكم قصتي من البداية، بل من بداية البداية، من الشخص الذي هو سبب وجودي في هذه الدنيا، أبي، والدي

العزيزعم سيد.

ومن مثل أبي إنه سـيد، سـاد قلب كل من عرفه بدماثة خلقه وحبه للخيروسعيه في قضاء حوائج الناس.

كان يوم ولادتي وكانت جدتي العزيزة مع أمي.

جدتي التي احتلت مكانة خاصـة في عائلتنا وفي قلوبنا، أحبها أبي كثيرًا ولمَ لا فبجانب حكمتها فقد كانت تحبه كولد لم تلده بل أنها كثيرًا ما كانت تقف معه ضـد أمي الغالية مما كان يثيرغيرتها أحيانًا.

سيد: أخبريني يا أمي كيف حال سهام؟

أم سهام: إنها بخيرهي والمولودة.

سيد: الحمد لله يا رب، الحمد لله، «حمد لله على منّته».

أم سـهام: بورك لكما في بناتكم وهنيئًا لكما بالبشـرى بالجنة.

سـيد: عطايا الله كلها خير والرزق منه وحده، ولكني لا أُخفيكِ سرّا يا أمي كم كنت أتمنى أن أُرزق صبيًا.

أم سهام: أسـال الله أن يرضيك يا بني ويرضى عنك، من قال أن الرزق بيد الصبي دون الفتاة! الرزاق هو الله يا ولدي «وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم»، والخير كله يكمُن في الرضا.

سيد: ونعم بالله.

لم يكن أبي يكره البنـات أو يُفرّق بين الأولاد والبنـات إطلاقًـا، ولكنـه كـان كـأي رجـل متوسـط الحـال، يعلم أن الأولاد قـد يسـاعدوه على تدبير أمور معيشـتهم أو هكذا يظن، ولكن رُب ولد يجلب لأهله الضنك والحزن وبنت يفتح الله على يديها أبواب

الخير.

أم سهام: بماذا ستسميها إذًا؟

سيد: سأُسميها "يمنى".

أم سهام: أسال الله أن يملأ أيامها باليمن والخير.

"يمنى"، هذا اسمي، عشت طويلًا لم أرى هذا اليمن أو الخير الذي دعتْ لي به جدتي، بل كنتُ دائمًا أشعر أني سيئة الحظ. ولم ينتابني هذا الشعور لسوداوية أو تشاؤم امتازت به شخصيتي، بل من مو اقف عدة جعلتني أرى أن سوء الحظ خُلق ليلازمني.

وبدأ هذا الحظ سيء معي مبكرًا، فعندما أراد أبي إدخالي إلى الصف الأول مثل بقية أقراني، تم رفض الطلب لأني أصغر

شهرًا واحدًا من العمر المطلوب لدخول المدرسة.

أتذكر جيدًا رغم صغرى وقتها عندما دخل أبي البيت، وجه أبي الذي اكتسى بالألم والحزن، لم أفهم وقتها شيئًا من حديثه مع أمي، ولكن ما أذكره هو كلمة أمي التي تعلمتها من جدتي.

سهام: لعله خير إن شاء الله، لا أحد يعلم أين يكمن الخير.

سيد: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لله الأمر من قبل ومن بعد، بعدما فرحتْ الصغيرة بالزي والحقيبة كباقي أخواتها، تنكسر فرحتها هكذا، وترجع بخفي حنين.

سهام: كم أنت طيب القلب يا أبا "يمنى"، لا تحزن لعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا، وهي مازالت صغيرة لن تُدرِك الأمور، وتدخل العام القادم إن شاء الله.

ومرت الأيام ودخلت المدرسة، وفي المدرسة كل الأطفال يكون لديهم أصدقاء، أما أنا فكان لدي العديد والعديد من المتنمرين، فقد كنت أنا الأكبر منهم سنًا؛ بسبب تلك السنة التي جلستها بالمنزل بسبب لا ذنب لي فيه، مما جعل الجميع يستغربون وجودي، وأحيانًا يظنون أني من الراسبين من العام الماضي، وما جعلني أتحمل صعوبة تلك الأوقات في مدرستي وجود أختاي، اللاتي كن يصبن أولئك الأطفال بالرعب إذا فكر أن يقترب أحدهم مني، وقررت أن أنتقم من أولئك المتنمرين بطريقتي وأثبت لهم أني الأفضل فإن لم يكن في الشكل والهيئة فبالعقل والاجتهاد والدراسة.

ومن المواقف أيضًا التي حُفرت في ذاكرتي موقف أمي، عندما

عُدت من المدرســـة مدمعة العينين مع احمراروتورم في خدي، غضـــبت أمي و انفجرت كالبركان الثائرعندما علمت أن إحدى معلمات صـــفي ضـــربتني على وجهي وبلا ســـبب، واســـتشـــاطت غضبًا عندما علمت بردة فعلي السلبية تجاه الموقف، و أني حتي لم أحاول فهم الســـبب الذي ضُـــربت من أجله، أتذكروقتها أنه قامت القيامة في بيتنا واشـــتعلت داخل أمي حرائق لا تخمد. كانت المرة الأولى التي أرى فيها أمي وقد وصـــل بركان غضـــبها إلى فوهته وكاد أن ينثر الحمم في كل الارجاء، اتصـــلت بالمديرة وأســـمعتها وصـــلات من الحديث عن المعلم ودوره كمربي، ولم تكتفي بذلك بل أقنعت والدي بأخذي لتقديم بلاغ رســـمي في الشـــرطة ضـــد هذه المعلمة، وفي اليوم التالي أخذتني إلى مديرية

التعليم ومعها رقم البلاغ وحررت شكوى في المعلمة وطالبت بمعاقبتها بل ونقلها إلى عمل إداري فهي غير مؤتمنة على الأطفال، وقد نثرت كل تلك الحمم لكي تحفر في نفسي معنى الإباء فلا أقبل بضيم ولا أسكت عن ظلم. صوبت قوسها لكي تغرس معنى الكرامة في نفسي فلقد كرمنا الله من فوق سبع سماوات فلا يحق لأي أحد أن ينتزع ذلك منا، سهام أطلقتها وأصابت بها كل الأهداف.

ومرت بي الأيام كنت أرافق فيها الكتب و أقضي أوقاتي أتنقل بين سحُب الخيال والمعرفة مما جعلني كالنجم الدري في سماء مدرستي يتباهى بتميزها المعلمون، ورغم ذلك كنت دائمًا أضع سوء حظي نُصب عيني، مما أعماني عن غزو النعم التي ينعم بها

ربي علي في كل طرفة و انتباهتها و أفقدني في كثير من الأحيان القدرة على إدراك لُطف الله وحكمته والتي قد لا نرى في أولها إلا ما يغضبنا غافلين عن تدبير الحكيم الخبير.

أذكر ذلك اليوم جيدًا، كنت بالصف السادس الابتدائي وقتها، وقد نظمت المدرسة رحلة للطلبة المتفوقين ورغم تفوقي إلا أني لم أكن من قائمة الرحلة، حزنت أشد الحزن يومها و انفطر قلبي من البكاء، حاول أبي يومها أن يهون علي ما ألمّ بي من كرب، لم أرى مثل هذا الرجل في هدوءه وحسن معالجته للأمور وحُسن استماعه و اتزانه النفسي وقدرته العجيبة على الإقناع، فهو يستطيع في جلسة واحدة تحويل انسان غريب إلى صديق حميم، بطيبة قلبه ورزانة عقله وحكمته وجمال أسلوبه، فكم أحببتك

يا أبي.

يمنى: لماذا أنا يا أمي؟ لماذا؟ لماذا؟!

سهام: اهدأي يا بنيتي.. كفاكِ بكاءً، لقد تورمت عيناكِ.

يمنى: لا لن أهدأ ابدًا، فأنا سيئة الحظ دائمًا.

سمعها أباها من بعيد فاقترب قائلًا:

لا يا بنيتي لا تقولي هذا أبدًا، اهدأي أولًا وأوقفي هذه اللآلئ من الانحدار، وتعالي إلى خارج الغرفة، ولنشرب عصيرًا باردًا، واحكي لي كل شيء.

يمنى: لا أُريد أي شيء، لقد ضاعت الفرصة بلا أي ذنب لي.. لماذا أسميتني يمنى؟ لقد كرهت هذا الاسم.

سيد: ماذا حدث؟ وما الذي ضاع؟ أخبريني بكل شيء.

يمنى: تم استبعادي من قائمة رحلة المتفوقين، ورغم أني الأولى، ولأن هناك آخرين معي في نفس المركز، فتم اختيار ثلاثة فقط، طبقًا للترتيب الأبجدي الذي أقبع في آخره.

سيد: أهدأي يا بنتي كفاكِ بكاءً، لعله خير يا بنيتي فلا يعلم الغيب إلا الله، لا تعلمين ماذا منع عنكِ الله بمنع هذه الرحلة عنكِ.

يمنى: أنا حزينة جدًا يا أبي، أردت الاستمتاع كبقية أصدقائي فقط.

سيد: ليس كل ما نريده هو خير، وحده الله العليم الذي يدبر أمورنا بحكمة ويقدر لنا، وإن أقداره كلها خير، سواءً علمنا الحكمة أم جهلناها؛ لأننا على يقين بأن الله حكيم، وكما قال الله

«وعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا» [النساء 19]، هيا ردّدي معي وصية النبي ﷺ إذا حدث ما يحزننا نقول «الحمد لله على كل حال».

يمنى: الحمد لله على كل حال.

سيد: الله يرضى عليكِ ويرضيكِ يا بنيتي، ثم إن اسم يمنى جميل جدًا ويعبر عن الخير واليمن، و أيضًا يمنى من اليمين، جعلنا الله من أهل اليمين، لا تسمحي لأي شيء أن يجعلك تبغضين اسمك أو نفسك أو أي ميزة لديكِ، فأنتِ جميلة كما أنتِ اسمًا وشكلًا وأخلاقًا.

انتهى حواري مع أبي فارتميت في أحضانه، كم أنه كان عظيمًا ذلك الرجل، فكان من أجلّ وأعظم نِعم الله عليّ التي حقًا أدركتها

عندما كبرت، و أنا على هذه في حضن أبي، سمعت أمي تنادي من غرفة المعيشة، وكان صوت التلفاز عاليًا فقالت انظري إلى هذه الصور واستمعي إلى مذيع النشرة ماذا يقول!

يمنى: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفصل الثاني

عين الرضا

كان أبي يحبنا كثيرًا، يراني أنا وأخواتي ثروته الحقيقية بل بابًا له إلى الجنة، لذا كان يحاول اسعادنا بكل ما يستطيع، لكنه تعرَّض لموقف وقتها أثّر عليه وعلى حياتنا جميعًا، لم يكن الموقف بكل هذا السوء ولكنه كان خائفًا من تأثير ذلك التغيير علينا، أتذكَّر وقتها كيف كان قلقًا من ردة فعلي أنا تحديدًا، أما أنا فقد كنت في عالم أخر.

سيد: ما العمل الآن يا سهام؟ كيف سنخبر البنات؟

سهام: سنخبرهم بكل ما حدث، فهم الآن كبروا وسيفهموا الموقف، وأما "يمنى" فلن تتأثر إن شاء الله.

سـيد: ما ذنبهم أن تتغير حياتهم كلها بسـببي أنا! يتركوا كل شـيء هنا.

سهام: لا تقل هذا، خير إن شاء الله، أنت تعلم أن بناتك يحبونك وسـيفعلون ذلك عن طيب خاطر ولن يتأثروا كثيرًا إن شـاء الله.

وقتها دخلت أنا وكنت في قمة سعادتي، أخيرًا تحقق لي حُلمًا طالما راودني، حُلمًا اجتهدت كثيرًا كي أصـل إليه، لكن عندما دخلت لأُبشِّـر أبي وأمي، رأيت الحيرة في عينيهما، كأنهما أرادا إخباري بشيء ما ولكن تجمّد الكلام في حلقيهما، لم أهتم وقتها فقد كنت سعيدة جدًا فلقد ابتسم الحظ لي أخيرًا.

يمنى: السلام عليكم.

سهام: وعليكِ السلام يا حبيبتي، ما هذه الفرحة؟ بشّرينا.

يمنى: لقد فزت بالمركز الأول في مسابقة العلوم التي اشتركت فيها، وتم تسجيل اسمي بنادي العلوم.

سيد: مبارك يا حبيبتي، وفقك الله دائمًا.

يمنى: بارك الله فيك يا أبي.

سهام: مبارك يا حبيبتي، لقد أسعدتِنا بنجاحك.

يمنى: بارك الله فيكِ يا أمي، وإن شاء الله سأنظم وقتي لكي أستطيع الذهاب إلى نادي العلوم مرتين بالأسبوع، إنه هنا قريب من منزلنا، سأذهب لأُبشِّر أخواتي.

ذهبتُ تاركة والديّ في حيرة شديدة، كيف سيكسران فرحتي، خصوصًا أني كنت أرى أني محظوظة بعضوية نادي العلوم. كانا يشفقان عليّ من الألم والحزن بسبب ما تعرضت له من

مو اقف كان ظاهرها الألم.

سيد: ماذا سنفعل يا سهام؟

سهام: سيدبرها الله بأحسن ما يكون، ولن يكون إلا الخير إن شاء الله.

سيد: ولكن أخشى علي يمنى من الحزن والألم، ستظن مجددًا أنها سيئة الحظ.

سهام: ما رأيك لو استشرت أمي؟ فعند أمي الحل.

سيد: أصبتِ يا سهام، نعم هي جدتها من تستطيع فتح الموضوع معها.

سهام: سأُهاتفها في الحال.

سيد: أسأل الله أن يقدر لنا الخير حيث كان.

وبعد قليل كانت أمي بالفعل تتحدث إلى جدتي حتى تأتي إلى منزلنا لتُمهِّد لي الموضوع الذي حيَّر أبواي ولم يستطع أحدهما إخباري به.

لم ألحظ وقتها ما بهم من حزن وقلق، كنت أتخيل نفسي في مختبر العلوم بالنادي وماذا سأفعل وماذا سأرى وربما قد أكتشف شيئًا هامًا وأصبح أصغر عالمة تخترع وتكتشف، و أثناء غرقي هذا في أحلام اليقظة إذ بباب الغرفة يُطرق.

الجدة: هل تسمحين لي بالدخول؟

يمنى: بالطبع يا جدتي، اشتقت إليك كثيرًا، لدي أخبار سارّة جدًا.

الجدة: هيا بشِّريني.

يمنى: بشَّــرك الله بالجنة، لقد فزتُ بالمســابقة التي أخبرتكِ عنها من قبل، وحصلتُ على المركز الأول.

الجدة: ما شاء الله ما شاء الله، مبارك عليكِ حبيبتي.

يمنى: ولن تخمني ما الجائزة.

الجدة: ما هي تلك الجائزة التي جعلت الفرح يقفز من عينيكِ هكذا؟

يمنى: نعم أكاد أرقص فرحًا لقد أصبحت عضوة في نادي العلوم أخيرًا، ولن تصدقي، مقر النادي قريب من البيت سأذهب مرتين في الأسبوع على أقل تقدير وسأرتب وقتي على ذلك، لقد أخبرت والديّ وو افقا.

الجدة: مبارك حبيبتي أنتِ متفوقة وتستحقين الجائزة، ولكن

ليس كل ما نريده هو الخير دائمًا، أحيانًا بسوء تقديرنا للأمور نظن أن شيئًا ما مناسبًا لنا ونريد تحقيقه وإذا لم يتحقق نحزن ونغضب ونظن بالله السوء، وحاشاه سبحانه وتعالى أن يقدر علينا السوء.

يمنى: ما هذا الكلام يا جدتي؟ لقد حصلتُ على الجائزة بالفعل، لم تعد مجرد أمنية.

الجدة: ما رأيك أن أحكي لكِ قصة جميلة من قصص جدتك التي تحبينها؟

يمنى: نعم نعم، أريد بالفعل، فأنا أحب قصصك جدًا يا جدتي ودائمًا ما يكون هناك عبرة أتعلمها.

الجدة: وهذه أيضًا ستتعلمين منها كثيرًا.

يمنى: ما هذه القصة؟ وما هذا التشويق!

الجدة: سأحكي لكِ قصة نبي الله يوسف عليه السلام.

يمنى: هيا يا جدتي، كلِّي آذان صاغية

الجدة: عندما رأى سيدنا يوسف الرؤيا ذهب ليقُصّها على أبيه الذي أخبره ألا يتحدث بها إلى إخوته، فقد خاف أن ينزغ الشيطان بينهم و يزدادوا غيرةً على غيرتهم من أخيهم الصغير يوسف، وبالفعل نفّذ سيدنا يوسف وصية أبيه ولم يُخبر أحدًا، ولكن وصلت غيرة إخوته إلي أقصاها حتى أجمعوا أمرهم على التخلص منه ظنًا منهم أن أباهم يفضّله عليهم فإذا تخلصوا منه خلا لهم وجه أبيهم، ولذا قاموا بتنفيذ خطتهم، فطلبوا من أبيهم أن يأخذوا أخاهم الصغير يوسف يلعب معهم، وعندما ذهبوا به

ألقوه في بئر جاف.

يمنى: يا لقساوة هؤلاء الإخوة! ماذا فعل سيدنا يوسف وقتها وهو صغير هكذا؟

الجدة: قولي ما إحساسه وقتها، هل ظل يصرخ ويبكي مثلًا؟ لا بالعكس ظل هادئًا، وبالصدفة أو بتقدير الله بمعنى أصح مَرّ قوم شعروا بالعطش، فذهب أحدهم إلى البئر فلم يجد ماءً بل وجد يوسف الصغير، رآه هادئًا فاستبشر وبشَّر أصدقاؤه الذين اصطحبوه وباعوه إلى عزيز مصر، ومن بعدها تغيرت أحواله وأصبح مسؤول عن خزائن مصر، ثم جاءه أخواته بعد ذلك وأكرمهم وعفا عنهم.

يمنى: سبحان الله تغيرت كل أحواله من بعد الشدة رخاء ولُطفٌ

من الله.

الجدة: نعم يا يمنى كان هناك لُطفٌ خفي رغم قساوة المشهد أمامنا، طفل صغير يُخطف من أبيه ويربيه أحدٌ آخر، وفي نهاية المشهد نرى أنه قد أصبح مسؤولًا عن خزائن مصر، برأيك ما الأفضل أن يربيه أبيه ويصبح انسان عادي؟ أوما حدث له وأنه في النهاية أصبح له مُلك عظيم؟

يمنى: هذا سؤال صعب جدًا يا جدتي.

الجدة: فكري قليلًا إذا حدث هذا معك.

يمنى: مجرد التفكير يرعبني يا جدتي لا أريد أن أترك أمي وأبي.

الجدة: ماذا لو القدر وضعك في مقارنة لتختاري بين حلمك وبين رغبة أمك وأبيك؟

يمنى: ماذا تقصـــدين يا جدتي لم أفهم شـــيئًا، أشـــعر أنه يوجد شيئًا ما وراء كلامك هذا.

الجـدة: لقـد انتقـل أبوكِ إلى محـافظـة أخرى بســـبب وظيفتـه وستنتقلون للعيش هناك.

يمني: ماذا؟!

بدأتُ أبكي وقتها ولم أدري ماذا أقول، لم أفكر إلا في قصة سيدنا يوســـف، فأنا لم أُخطف من عائلتي الحمد لله وهذا ما صـــبّرني، ولكني كنت حزينة بالفعل على نادي العلوم الذي تركته بعد كل هذا الجهد يضيع الحلم هكذا يا للألم.

كانت جدتي تراني في صـمت فهي تعلم مدى ألمي وحســرتي ولكنها أجادت اختيار القصة التي تقتبس منها العبرة والعظة لكي

تقنعني بها.

وبعد صمتٍ طويل قالت لي جدتي:

- لعلَّ الله يُحدث بعد ذلك أمرًا، فالأقدار كلها بيد الله يدبرها كيف يشاء، ولا تدري ماذا ينتظرك هناك، لعلّك محظوظة مثل سيدنا يوسف قد تجدي أثمن مما فقدتي.

هززتُ رأسي في حزن دون أن أتحدث بحرف.

بدأت الاستعدادات في المنزل للانتقال، أمي وأخواتي يجهزن الحقائب على عجل فالسفر خلال يومين، لقد أخذن كل ما يمكنهن حمله في حقيبة، ولكن أنا لم أكن مهتمة بكل ذلك، وكان أبي يقول لهن أحضروا الضروريات وسنجد هناك كل ما نحتاج بإذن الله.

كانت جدتي تســاعد أمي ولكنها كانت حزينة لفر اقنا، فهي ليس لديها سـو انا وسـتصبح وحيدة بدوننا، ولكنها كانت تصبّر نفسـها وتصبّرنا إنها ستأتي عندما نستقر لكي تتنزه عندنا.

كانت مفاجأة بالنســبة لي أثناء ركوبنا إلى القطار، هل حقًا نحن ذاهبون إلى الإسكندرية؟!

فأنا مع حزني نسيت أن أسأل إلى أي مكان نحن ذاهبون؟ فكانت المفاجأة أننا سننتقل للعيش في الإسكندرية حيث البحر والهواء النقي وأماكن التنزه والشاطئ والمكتبة، يا الله مكتبة الإسكندرية هذا ما لم أكن أحلم به على الإطلاق.

لك الحمد يا الله فعلًا إنه الخير كل الخير، تركتُ القليل ووجدتُ الكثير كما قالت لي جدتي.

كثيرًا ما يمر علينا في حياتنا مثل هذه المواقف نترك القليل ونجد الكثير، وقتها فقط ندرك معنى اللُطف الخَفي الذي كان موجود طيلة الوقت لكننا غفلنا عنه أول الابتلاء وتسرّب الحزن إلى أنفسنا، كما أننا نغفل عن حكمة الله وحسن تدبيره لكل أمور حياتنا، ليس شرطًا أن نرى الحكمة أو نعلمها ولكن يجب أن نكون على يقين منها وأن كل ابتلاء خلفه جائزة عاجلًا أم آجلًا.

بدأنا الحياة في بيتنا الجديد، بدأنا نعتاد الجو الجميل والمناظر البديعة، وسريعًا ما تعرّفنا على الجيران وكانوا لطفاء جدًا خاصةً بعدما عرفوا أننا من الصعيد أحبونا كثيرًا ، وتعرفتُ إلى صديقتي وئام وبدأتْ من هنا صداقتنا، كانت كثيرًا ما تأتي لزيارة

خالتها والتي كانت إحدى جيراننا.

كانت الإسكندرية تشبه الحلم الجميل، كل شيء فيها بنكهة ورائحة البحر، كان لجمالها سحرٌ خاص، بريق يلمع في ليلٍ أسود، كانت نسمات الهواء الباردة ليلًا تنعش القلب والروح معًا، سبحان من خلقها وجمّلها بكل هذا الجمال، ومع كل ذلك الجمال كان كل شيء مختلف، من عاش في الصعيد وسافر إلى الإسكندرية سيدرك معنى ما أقوله جيدًا.

كانت الأيام تسير هادئة معنا حتى وصلت إلى عنق الزجاجة مرحلة الثانوية العامة ، كان ذلك الوقت عصيبًا بالنسبة لي، كنت أحلم أن أصبح طبيبة يفخر بي أبي، ولطالما تمنيت أن أكون سببًا في تخفيف آلام الناس، كانت فترة صعبة في حياتي

ولكن أبي وأمي كانوا دائمًا يحاولان التخفيف عني والتقليل من الضغط عليّ، أذكر أن أبي كان يُعد لي مشروب الشوكولاتة الساخن الذي أحبه، وكثيرًا ما كانت أمي تُعد لي الحلويات الشرقية التي أفضلها، وكان أكثر ما يبث الطمأنينة في نفسي دعاءهما.

وبعد شهور من المعاناة والصبر والخوف، جاء اليوم الذي انتظرتُ أن أحصد فيه ثمار عملي المضني، يوم لا أستطيع أن أنساه ما حييت، كان الموقع المخصص لإعلان النتيجة بطيئًا كسلحفاة تسابق صغيرها فتبطئ من نفسها أكثر حتى لا تسبقه فيحزن، وأخيرًا ظهر الموقع أمامي وليته ظل متواريًا عني لقرون، فلقد استقبلني بصدمة ارتج لها كياني، لماذا أفقد كل هذه

الدرجات في مادة الفيزياء! لقد أخبرني أستاذي أني سأحصل على الدرجة كاملة بعدما أخبرته بإجابتي بعد الامتحان، لابد أن هناك خطأ ما، صُـــدمت وحزنت كثيرًا، فما كان من أبي إلا أن طمأنني وأصرّ على اصطحابي في اليوم التالي للإدارة التعليمية.

عم سيد: السلام عليكم.

الموظف: وعليكم السلام.

يمنى: من فضـــلك أريد التأكد من أوراق اختبار الفيزياء فهناك خطأ في الدرجات.

الموظف: تفضلوا هنا وسأحضر الأوراق.

كنت أقلّب في الأوراق كالغريق الذي يريد قشة ليتعلق بها لينجو وكنت أرى كل الإشفاق في عيني أبي الذي كان يدعو الله أن يجبر

بخاطري، وأخيرًا وجدتُ سؤالًا كاملًا غير مُصحح.

عم سيد: أنظر من فضلك هناك سؤالًا كاملًا بلا تصحيح.

الموظف: أعتذر لكم ولكن ليس هناك ما يُسمى بإعادة التصحيح، يوجد فقط جمع للدرجات.

يمنى: ولكن يا سيدي هذه أيضًا درجات نريد جمعها، حرام أن تُرمى هكذا، هذا تعب ومجهود عامًا كاملًا.

الموظف: أعتذر منكم ليس لدينا سوى إعادة جمع الدرجات فقط، هذا هو القانون، واذا كان لديكم شكوى يمكنكم اللجوء إلى القضاء، ومثل هذه القضايا أحيانًا يُفصل فيها بعد ثلاث أو أربع سنوات.

عم سيد: هذا ظلم إما أن تضيّع عليها الدرجات أو تضيّع عليها

السنوات، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم بالله.

خرجنا نجرّ أذيال الخيبة بكل ألم وانكسار عُدنا إلى البيت، عندما رأتني أمي هكذا لم تتحدث معي بل حضنتني فكان كل ما أرجوه وقتها أن أصمت ولا أتحدث إلى أحد، مر يومان وأنا صامتة في غرفتي لا أتحدث إلى أحد حتى جاءت جدتي من البلد لكي تزورنا.

الجدة: إلى متى ستبقين على هذه الحال يا صغيرتي؟

يمنى: لقد ضاع حُلمي مثل كل مرة يا جدتي كم أنا قليلة الحظ ، ليس لي نصيب من الفرح.

الجدة: استغفري الله يا بنيتي، ولا تيأسي من رحمته.

يمنى: لقد سعيت واجتهدت يا جدتي، لماذا لم أرى ثمرة عملي؟

الجدة: ليس شـــرطًا أن تجديها كما تريديها، قد تأتي بشـــكل مختلف، فالناس في الأرزاق متساوون ولكنهم مختلفون.

يمنى: ولكن يا جدتي ما حدث كان ظُلمًا.

الجدة: أو افقكِ الرأي، لكن قد تجدين الخيرفي مكان آخروكلية أخرى، قد يعوضـــكِ الله بأحســـن ما تتمنين، ليس شـــرطًا أن تأخذي نتيجة تعبك وثمرة اجتهادك كما تُريدين، قد يكون ما تحبين شـرًا لكِ و أنتِ لا تعلمين، فلترضي بما كتبه الله لكِ عسى أن يكتب لكِ أجرًا مضاعفًا جزاء صبرك.

يمنى: ولكن الصبر مؤلم يا جدتي.

الجدة: أعلم يا حبيبتي، ولهذا قال تعالى «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـــابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [الزمر10]، أي أن الجزاء لا يعلمه إلا الله،

فتخيلي كرم الكريم.

يمنى: ونعم بالله، ولكن..

قاطعتني جدتي قائلة:

- ولكن ماذا؟ أُنظري جيدًا قد يكون منحكِ الله ولم يمنعك بهذا القدرو أنتِ لم تدركي كعادتك، أم تُراكِ نسيتِ ما حدث يوم الرحلة!

يمنى: ماذا حدث يوم الرحلة؟ لقد ضاعت عليّ بسبب اسمي الذي يبدأ بأخرحروف الهجاء.

الجدة: لأنكِ لا ترين إلا تحت أقدامك، أنسيتِ ما حدث للطلاب وقتها! ألم تشاهدي الأخبارفي التلفاز! ألا تذكري تعطّل الحافلة بالطلاب بسبب الأمطار الشديدة التي كانت كالسيول! ومكوثهم

على الطريق أكثر من أربعةً وعشـــرين ســـاعة قبل أن يعودوا إلى بيوتهم، بعدما حاولت الجرافات والشـــاحنات مســـاعدتهم، لو كنتِ معهم، كيف ســـيكون حالكِ وقتها! أهذا خير؟ أم ما أختاره لكِ الله وقدره عليك؟

يمنى: نعم فعلًا معكِ كل الحق يا جدتي، ما ظننته منع كان عين العطاء، سبحان الله فعلًا ما يقدره لنا هو الخير دائمًا.

الجدة: أحســـنتِ يا صـــغيرتي، رزقكِ الله الرضـــا ونور البصـــيرة.

يمنى: بارك الله لي فيكِ يا جدتي.

الجدة: والآن، أُخرجي من عزلتكِ هذه، و أُنظري بعين الرضـــا إلى ما قدر الله لكِ، وتذكّري قوله تعالي «نُصِـــيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَـــاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» [يوسف ٥٦].

يمنى: لله الأمر من قبلُ ومن بعد.

وَكَم لِلّهِ مِن لُطفٍ خَفيٍّ
يَدِقُّ خَفاهُ عَن فَهمِ الذَكيِّ
وَكَم يُسرٍ أَتى مِن بَعدِ عُسرٍ
فَفَرَّجَ كُرْبَة القَلْبِ الشَجيِّ

الفصل الثالث

مفاجآت

جلســتُ بجانب النافذة في صــمت أراقب مارّة آخر الليل كيف يسيرون في سرعةٍ وهدوء، كنتُ أراقب حبات المطروهي تسقط على زجاج النافذة وكيف كانت تغســلها مما علق بها من غبار فتمنيتُ لو تســتطيع هذه القطرات أن تخترق روحي الحزينة وتغســل كل ما علق بها لتعود صــافية لا تحمل همًا ولا كدرًا. كانت ليلة طويلة ظللتُ أُفكِّرفي كل ما داربيني وبين جدتي و أُفكِّر فيما هو قادم وما يجب عليَّ فعله وتجرّعتُ مرارة ذاك الظلم وقلبي يعتصــره الألم على حزنٍ مضــى بلا عودة، لم ينقذني من تلك الأفكارإلا سماع صوت أذان صلاة الفجر، نعم الله أكبرمن

أفكارنا وقلقنا ومخاوفنا ومن كل ما يدور في خواطرنا، قمتُ أتوضأ لأصلي وسجدتُ سجدة شعرتُ معها بنزول الأثقال من فوق ظهري وكأن روحي حلَّقت في السماء من خِفَّتها ثم قمت لأنام استيقظتُ في الصباح مرتاحةَ البال لأبدأ من جديد، نظرتُ إلى ذاك الشعاع المنبثق من بعيد وحاولتُ التشبُّث به، فإن كان حُلمي قد فارقني فإنه لم يبتعد كثيرًا، لقد أحببتُ العلوم كلها وفي القلب منها الطب، ولكن مهلًا لو أني تفرغتُ فقط لدراسة الطب فهذا يعني أني لن أُحلِّق عاليًا في الفضاء لأرى تلك الكواكب والنجوم والثقوب السوداء، لن أغوص في المحيطات أو أتسلق الجبال، لن أمشي على السهول وأستكشف الحفريات، لن أجلس مع نيوتن وباسكال و أينشتاين نتبارى لحل مسائل

الكم والجاذبية والقوة ووو... لن أسكب السوائل وأصنع المخاليط للحصول على ألوان وروائح بل وانفجارات.

أتعني أني سوف أدرس فقط كل ما يتعلق بالإنسان دون سائر الكائنات الحية؟! ماذا عن الأسماك، الطيور، الحشرات وعالَم البرمائيات، لا أرفض أن أنحصر فقط في مجال واحد، فلقد أصبحتْ كل هذه المعرفة جزءًا من تكويني، بل إنه الغذاء لعقلي ولقلبي والفضل لله أولًا ثم لمكتبة الإسكندرية التي كنتُ أقضي فيها معظم وقتي ما بين القراءة والندوات والفاعليات والتجارب، فحمدًا لك يا الله على كل أقدارك.

وَكَم يُسرٍ أَتى مِن بَعدِ عُسرٍ

فَفَرَّجَ كُرْبَة القَلْبِ الشَجيِّ

وَكَم أَمرٍ تُساءُ بِهِ صَباحًا

وَتَأتيكَ المَسَرَّةُ بِالعَشيِّ

مرَّت الأيام وتهيأتُ نفسيًا وقلبيًا للالتحاق بكلية العلوم فهي أم الكليات وفيها من العلوم ما فيها ليجعلني أفرح بعد حزني.

كان أول يوم لي هناك وكانت مصادفة جميلة أن أرى "وئام" بعد انقطاع أخبارها لفترة بعد انتقال خالتها التي كانت تسكن بجوارنا، فلم تَعُدْ تأتي ولم أرها لفترة وعرفتُ أنها تحب العلوم مثلي والتحقتْ بالكلية برغبتها، ذهبنا معًا لنعرف الجداول والمحاضرات والفصول العملية.

كانت البداية غير متوقعة، وكأن الواقع أبى إلا أن يصدمني كالعادة، فكانت المواد صعبة ومعقَّدة والأمور متداخلة، فكل

فرعٍ من العلوم في قسم منفرد وكل قسم بداخله أقسام فرعية، وهناك أقسام مزدوجة الفروع مثل الكيمياء مع الأحياء والجيولوجيا مع علوم الفضاء وهكذا، كان كل طالب في المرحلة التمهيدية يدرس كل الأفرع ثم يتخصص في النهاية.

حقًا كانت الدراسة صعبة ومتشابكة، وظللتُ فترة حتى بدأتُ أفهم كيف تسير الأمور، وكان أسلوب كل مدرس يختلف عن الأخر فهناك من يعتبر نفسه أبًا للطلاب أو أخ كبير وهناك من يتعامل معهم بتعالي وكِبر.

وأتذكَّر جيدًا مادة الميكروبيولوجي كم كانت صعبة وكانت دائمًا العيِّنات بداخل الفصول العملية غير واضحة، حتى ظننتُ أني لن أنجح في هذه المادة، لكن كما يقولون لكل مجتهدٍ نصيب ومن

يســعي ويُجِدّ يســعد دائمًا، أذكر جيدًا حديثي مع أمي التي كانت تُصبِّرني وتُشجِّعني.

يمنى: السلام عليكم يا أمي.

سهام: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أخبريني ماذا فعلتِ؟

يمنى: لا جديد يا أمي للأسف.

سهام: ألم تستفيدي من أي معلومة؟

يمنى: كلا، البتة يا أمي.

ســهام: لا تحزني يا بُنيتي افعلي ما بوســعكِ وتذكَّري دائمًا قوله ســبحانه وتعالى «إِنَّا لَا نُضِــيعُ أَجْرَمَنْ أَحْسَــنَ عَمَلًا» [ســورة الكهف 30].

يمنى: ونعم بالله، الله المستعان.

لم تكن المادة تمتاز بالتعقيد فحسب بل ما زاد الطين بِلَّة هو رئيسة القسم التي كانت دائمًا ما تتصيد لي الأخطاء، لا أعلم حقًا سبب كرهها الشديد لي ولماذا كانت تعاملني هكذا بالرغم من تفوقي الدائم!

لا زلتُ أذكر يوم الاختبار العملي، كان التوتر يسود الأجواء، دخلنا إلى أماكننا وكانت رئيسة القسم تُبلِّغنا بالتعليمات وما يجب وما لا يجب علينا فعله، لكني كنتُ في عالم آخر، كنتُ ألهثُ بالدعاء إلى الله حتى ينجينا من تلك المعركة بأقل خسائر ممكنة، ومع الأدعية والأذكار شعرتُ أني في معيَّة الله وليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، لهذا لم أنتبه ودخلتُ بأدواتي وهاتفي وكان هذا من الممنوعات التي تم سردها، وسقطتُ في مصيدة رئيسة القسم

حينما رأتني أُخرِج هاتفي لأتأكد من غلقه، وكأن الفرصة واتتها على طبقٍ من ذهب وأنا من قدَّمه لها بغفلتي، أخذتْ بأعلى صوتها تنهال عليَّ بالتهديد والوعيد حتى أسمعتْ كل من باللجنة ولاحظ الجميع مبالغتها في الأمر رغم بساطة الخطأ، وأخيرًا قامت بطردي خارج اللجنة ونقلتني إلى لجنةٍ أخرى.

الغريب في الأمر أني لم أهتم أو أحزن أو أبكي، فقد كنتُ أشعر بمعيَّة الله. ورغم ما حدث كان يقيني بالله أكبر من أن تهزُّه تلك الغاضبة، خرجت وأنا أقول لله الأمر من قبلُ ومن بعد، لا أردِّد غيرها وحدث ما لم يكن في الحسبان.

سبحان الله العلي العظيم، انتهى اليوم وأنا حقًا لا أعلم كيف انتهى! أكان هذا حُلمًا يا تُرى؟ لا بل كان يقينًا عين اليقين.

قال تعالى «أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» [سورة النمل 62].

وَكَم أَمرٍ تُساءُ بِهِ صَباحًا

وَتَأتيكَ المَسَرَّةُ بِالعَشيِّ

عدتُ إلى منزلي و أنا صامتة تمامًا أتفكَّر فيما حدث معي اليوم حتى أني لم أستطع التحدث إلى أمي إلا بعد فترة، سبحانك ربي دائمًا ما يكون قريبًا لطفكَ الخفي.

يتعرَّض كلٌّ منَّا للكثير من الاختبارات في حياته، قد ينجح فيها أو لا ينجح، تغلبنا أنفسنا وأحيانًا يظل الصراع قائمًا، نضعُف تارّة وننتصر تارّة وتلك هي الحياة لا مثالية فيها، وسواء أردنا أم لم

نُرِد فإما أن نكون فاعلًا أو مفعولٌ به، والفطن الذكي من يُنقذ نفسه سريعًا قبل السقوط في الأهواء، وإن عظُمت الفتنة فالخوف من الله أعظم، فكل ما علينا فعله في هذه الدنيا ألَّا نرفع راية الاستسلام لأهوائنا وشهواتنا ولنثق أن الله سيرسل لنا عونًا يقوينًا إذا حميَ الوطيس.

وها قد بدأت إحدى فصول معركتي، حين رأيته أول مرة. كان أول يوم لنا في عامنا الدراسي الثاني بدأناه بمادةٍ جديدةٍ تُسمى الفيزياء الطبية، "وئام" صديقتي بجانبي تُلحّ بشدة لأخبرها بما حدث في امتحان العملي لمادة المايكرو في العام الماضي، بالطبع لم أخبرها فلقد كان عصيًا عليَّ فهم ما حدث فكيف سأشرح لها! وبينما نحن على حالنا من مزاح وشجار إذ بي أراه

يدخل قاعة المحاضـرات معرفًا نفسـه، مسـتطردًا في شـرح مجالات مادته العملية، آخذًا بتلابيب قلبي يعدوا به في سـباق مُضني لا أعلم وجهته.

إنها المرة الأولى التي يأسـرني فيها شـاب، كنت دائمًا تلك الفتاة الحريصـة على دروسـها، لم أرغب يومًا أن أنجرف إلى طريق الصداقة مع الفتيان فلقد ربَّاني والديَّ على الدين والأخلاق التي تحمينا من أن ننتهج هذا المسار.

ولكن لا أعلم ماذا جرى لي في هذه اللحظة حتى وقعتُ بلسـاني وأثنيت عليه أمام "وئام" التي نهرتني، تعللتُ حينها أني أمزح فقط ولكن ولأول مرة أشـعر بذلك الشـعور، بعدها شـعرتُ بتأنيب الضمير، ماذا أفعلُ بنفسي أنا لستُ هكذا، ماذا يحدث

لي! ظللتُ أفكر فيما حدث لي طوال الليل حتى غلبني النوم.

جواد فارس كان هذا اسمه، أستاذ مساعد بقسم الفيزياء تخصُّصُه في الفيزياء الطبية، بعد تخرُّجه بتفوُّق ابتعث إلى أمريكا لدراسة الماجيستر، وبعد ما انتهى من دراسته عاد ليُطبِّق ما درسه ليفيد أبناء بلده، لم تغيِّرُه الثقافة الغربية أو تنزع منه مبادئه بل كان مثلًا للأخلاق يُحتذى به، وليس هذا فحسب، بل كان مختلف بين أقرانه فقد اعتمد طريقة مختلفة للتدريس قائمة على البحث العملي وليس التلقين، كان باختصار فارس يسبق كل من حوله في كل شيء.

في صباح أحد الأيام، كنت قد استعددتُ لإلقاء محاضرة خاصة بمشروعٍ لنا أنا ووئام، قابلتني وئام حينها وقد هالها ما رأت وئام:

- لا أصدق عيني ما هذا؟

أجبتها و أنا أنظر بفزعٍ في كل مكان:

- ماذا حدث يا وئام؟

قالت وقد تملَّك منها الغضب:

- بل أنتِ ما الذي حدث معكِ؟ ما هذه الألوان البرَّاقة المنتقاة بعناية خبير من خبراء الأزياء العالمية؟

ضحكتُ من طُرفتها وقلت:

- ظننتكِ تتحدثين عن شيءٍ كارثي.

ردَّتْ بعتاب صادق:

- بالفعل أتحدث، ثم ما هذا الذي تضعينه على وجهكِ يا يمنى؟ أتستخدمين مساحيق التجميل!

دافعتُ عن نفسي قائلة:

- لم أضع أي مساحيق أقسم بالله، إنه فقط مرطب للشفاه.

نظرتْ إلى عينيَّ مباشرةً وكأنها تكشف أغوار نفسي وقالت:

- ولمَ كلُ هذا يا أستاذة يمنى؟

تلعثمتُ و أنا أجيبها:

- أليس اليوم هو يوم تقييم مشروعنا وسيحضر لفيف من كبار أساتذة القسم؟ ثم إنني لستُ بدعًا من القوم ألا ترين ما ترتدينه الفتيات! أنا بالنسبة لهم لا شيء.

عاتبتني قائلة:

- أتضعين نفسكِ في كفة مقارانات كهذه يا يمنى! احذري يا يمنى، احذري من هذا الذي يقطن بين ضلوعك، إياكِ أن تجيبيه

إلى بئر الفتن.

أفعلتَها يا قلبي وفتحتَ أسـوارَك؟! أجعلتَ صـديقتي تكشِـفُ فَعلتَك وتفضَـحُ أمرَك! وما الذي يُضـيرني من هذا؟ أنا منبعُ المشاعرِوموطنَ الحب، إن لم أقم بما خُلقتُ له الآن فمتى يكونُ إذن؟ أُصـمُتْ، لا أريدُكَ أن تتفوّهَ بتلك الكلمات، لا لن أصـمت، بل أنتِ من سـتسـتمعين إليّ، أمَا آنَ لك أنْ تشـعُري، أن تتذوقي، أن تُحبّي كسـائرِ أقرانِك! أمَا ترَينَ هذه وهي تُناجي حبيبَها، وتلك وهي تطيرُفي سـماءِ الوجد، لماذا تَحرمينَني من كلِّ هذا؟ لأنه.. لأنه لم يأنِ الأوانُ بعد، لا.. بل قد آن.. وأنا من يقرر لا أنتِ، فتنحّي الآن جانبًا ودعيني وشأني.

عدتُ إلى المنزل ولم أستطع التفوه بكلمة واحدة مما أثارقلق

أمي وما زاد حيرتها رؤيتها لكل ما يحدث معي من تغيير.

يمنى: السلام عليكم يا أمي.

سهام: وعليكم السلام يا بُنيتي، أخبريني كيف كان عرضكِ التقديمي؟

يمنى: الحمد لله لقد وفقني الله واجتزتُه بتفوق.

سهام: مبارك يا حبيبتي، إذن ماذا بكِ؟ لمَ كل هذا الصمت؟

يمنى: لا شيء فقط إرهاق.

سهام: أخبريني يا صغيرتي فأنا أريد الاطمئنان عليك.

يمنى: أنا بخير يا أمي اطمئني.

وفي داخلي كنت أصرخ لستُ بخير إطلاقًا يا أمي أشعر أني أسقط في بحرٍ عميق ولا أعلم كيف أسبح! نجِّني يا رب.

واستمر الأمر على هذا الحال، كل يوم أصطدم بـ"وئام" التي ترى أني قد تغيرت، ولكنني لم أتغير أنا فقط نضجتُ وبدأتُ أستكشف نفسي، فأنا أنثى بقلب أنثى وعقل أنثى، لمَ لا أتزين! لماذا لا أوسع نطاق اهتماماتي ليشمل مظهري و أنوثتي! ولكن كل هذا لم يرق لـــ"وئام"، إلى أن حدث الصِدام وكان قويًا مدويًا.

وئام: كيف كان اختبارك؟

يمنى: الحمد لله لقد أجبتُ بشكلٍ جيد.

مَرَّبجوارنا "جواد" فتحدَّث إلينا ليسألنا عن الاختبار.

يمنى: لقد أجبنا بشكلٍ جيد.

جواد: دائمًا متفوقة يا آنسة يمنى.

يمنى: بعد الله الفضلُ لكَ ولمجهودكَ معي، أقصد معي ومع كل

الطُلاب.

جواد: هذا واجبي، أستأذنكم.

وانصــرف جواد وعيون "وئام" تُخرج شــررًا يكفي لشــيٍّ مطعم دجاج.

وئام: يكفي إلى هذا الحد.

يمنى: ماذا هناك؟

وئام: ألا ترين كيف تحطِّين من قدركِ وتسحقين كرامتك؟

يمنى: كيف تتحدثين معي هكذا؟!

وئام: بل أنتِ كيف تتحدثين معه هكذا وتتعمدين الســخافات وإطالة الحديث مثل هؤلاء الفتيات اللائي كنا ننتقد أخلاقهن من قبل!!

يمنى: أنا لم أرتكب جُرمًا و أنتِ لستِ واصيةً عليَّ ويكفي دور الواعظ الذي تلعبينه معي طيلة الوقت، لستُ بصغيرة.

وئام: أيتها الكبيرة الناضجة استيقظي من غفلتكِ هذه قبل فوات الآوان وحافظي على قلبُكِ فهذه قلعة محصَّنة لا تفتح أبوابها إلا للأمير صاحب النصيب ومشاعرك أنفس من تبديدها هكذا، حافظي على نفسكِ فأنتِ جوهرة لا تهدري قيمتك.

يمنى: إلى هذا الحد يا وئام لن أسمح لكِ أن تتحدثي معي هكذا مرةً أخرى، أنا أعرف قيمة نفسي جيدًا وأعرف ماذا أفعل.

انطلقت كل واحدةٍ منَّا في طريقها وكانت هذه المرة الأولى منذ أن دخلنا الجامعة أن تنفصل كلٌ منَّا في طريقها كنَّا دائمًا نسير معًا، عدتُ إلى البيت حزينة جدًا انتظرتُ عودة أبي من العمل، طلبتُ

أن يسمح لي بالسفر إلى جدتي وو افق عندما رأى ذلك الحزن في عينيَّ وسافر معي ولكنه عاد سريعًا بسبب عمله كما أنه لا يستطيع ترك أمي بمفردها.

ظللتُ طوال الطريق صامتة أفكر فيما حدث بيني وبين "وئام" صديقتي، كيف حدث هذا؟ ولماذا حدث؟ وهل كما تقول أنا أخطأتُ وفرطتُ في كرامتي و أنزلتُ من قدر نفسي وبددتُ مشاعري؟ وكيف فعلتُ ذلك بنفسي؟ كيف وقعتُ هكذا! كيف أُسِرتُ هكذا! كيف استسلمت لجواد أن يأخذني بعيدًا؟ كيف خطفني هكذا!

كانت جدتي فرحةً جدًا برؤيتي فقد اشتاقت لي و أنا اشتقتُ لها كثيرًا ولكلامها وحكاياها المليئة بالدروس والعِبر وإلى أكلها الشهي

اللذيذ الذي لا يستطيع أحد منافستها فيه حتى أمي.

كانت جدتي قد أعدَّت كل ما لذَّ وطاب ترحيبًا وفرحًا بي ولكنني لم أستطع تناول الطعام، وتعلَّلْتُ بتعب السفر، دخلتُ غرفتي لأرتاح ووجدتُ وقتها أكثر من عشر اتصالات من "وئام" صديقتي مما أثار قلقي خصوصًا بعد آخر لقاءٍ لنا أو بالأحرى آخر صِدام.

يمنى: السلام عليكم.

وئام: وعليكم السلام، أين أنتِ؟

يمنى: خيرًا إن شاء الله، أنا ذهبتُ إلى جدتي في الصعيد.

وئام: ماذا؟! لقد حدثت مشكلة في القسم وأصرَّ رئيس القسم أن يعيد امتحان كل طلاب دفعتنا.

يمنى: وماذا أفعل! أنا الآن لا أستطيع العودة.

وئام: سأخبر جواد بالأمر أقصد أخبريه أنتِ لعلَّه يستطيع مساعدتك.

يمنى: سأتصل به الآن والله المستعان.

تحدثتُ إليه وقد كان رقيقًا جدًا معي ومتعاون وأخبرني أن لا أحمل همًا و أنه سيحلُّ الأمر بنفسه، وجلستُ مع هاتفي بعد أن أغلقتُ الخط، أنظر إلى الهاتف بابتسامةٍ بلهاء لدرجة أني لم ألحظ جدتي ولم أسمع طرقها على الباب.

قالت بابتسامة ماكرة:

- يا لهذه الابتسامة الحالمة، تُرى لمن تهدينها؟ ألهذا الذي يُدعى جواد؟ مَن هو يا تُرى؟

قلتُ بارتباك: مدرِّس لدينا بالجامعة متعاونٌ مع الطلاب وكل من

بالجامعة يحبونه.

بمكرٍ سألتْ:

الجدة: تقصدين الجميع؟ الجميع!

يمنى بابتسامة: نعم الجميع.

الجدة: إذن فحدثيني عنه، أريد أن أعرف كل شـــيء، وإياكِ أن تُخفي عنِّي شيئًا.

يمنى: إنه دكتور محترم، ملتزم لا تشوبه شائبة.

الجدة: الآن عرفتُ سِرَّكل هذا التغيير، ولكن لماذا الحزن؟

يمنى: حزينة من نفســي، فبســبب هذا التغيير كدتُ أخســر صديقتي أو خسرتها بالفعل وقبلها خسرتُ نفسي وكرامتي.

الجدة: لمَ كل هذا؟ مشاعرُكِ طبيعية في مثل سِنُّك ولديكِ قلب،

طبيعي أن تتحرك مشاعرك، ولذلك أمرنا الله أن نحفظ أنفسنا من البداية بغض البصروعدم إطلاقه، مع عدم التحدث بمثل هذه المشاعر إلا على سبيل أخذ النصيحة مِمَّن هو أهلها، وإشغال النفس بما يفيد حتى يأذن الله بالنصيب وقتها تخرج في إطارها الصحيح وهو الزواج.

يمنى: ماذا عليَّ أن أفعل الآن يا جدتي؟

الجدة: استغفري الله وعودي لصوابك و ابتعدي عن جواد هذا بقدر ما تستطيعين حتى لو تطلَّب الأمر الانتقال إلى جامعةٍ أخرى، فنفسُكِ أهم من دراستك، حافظي على نفسكِ ودينكِ قبل أي شيء يا حبيبتي واغلقي على قلبكِ بإحكام حتى يأتي أمر الله.

الفصل الرابع والأخير

معية الله

- أأنتقل من الجامعة!

أخذت الكلمة تتردد في أذني حتى أصبحت فكرة تدور في رأسي كحجرًا في دائرة تدور به، مكثتُ أسبوعًا عند جدتي في الصعيد ثم عدتُ إلى أهلي، ظللت أفكرفي موضوع الانتقال من الجامعة، خاصة أنه لم يتبقى إلا سنة لأتخرج في الجامعة وهذا سيشكل عقبة في قبول والديَّ للتحويل، وما زاد الأمر ألمًا أنه لا يوجد القسم المتنوع الذي التحقتُ به في جامعتي، فمعظم الأقسام هناك تضم فرعًا أو فرعين من العلوم، لكن ديني ونفسي أهم وستتغلب نفسي اللوامة علي نفسي الأمارة بالسوء بإذن الله.

صليتُ استخارة عدة مرات ونويت أن أُفاتح أهلي في قراري، ولله الفضل والمنَّة و افقًا بسهولة على النقل وكان لجدتي دور كبير في تمهيد الأمر لهما، فعندما تحدثتُ معها بالأمر رحبتْ بالفكرة جدًا، خصوصًا أني سأنتقل للعيش معها، ولكنها نصحتني بالاستخارة كثيرًا وأن أفكر جيدًا في الأمر من كافة الجوانب، وأخيرًا قالت الخلاصة كعادتها دائمًا تختم كلامها بما يثبت القلب ويريحه فلديها قدر من العلم الشرعي.

- من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، فأنتِ تسعين للبعد عن ما يهواه قلبكِ وتنتظرين الحلال، كما ستتركين ما تهواه نفسك من دراسة العلوم التي تحبينها، وكل هذا حتى ترضي الله فيقينًا انتظري الفرج بإذن الله.

بـدأتُ في تجميع الأوراق المطلوبـة للنقـل وذهبـتُ إلى الجـامعـة لاستكمال بعض التوقيعات فالتقيت بوئام.

وئام: ستتركينني وحيدة هنا يا صديقتي؟ هل ستتخلين عني؟

يمنى: لا يا وئام أنتِ صديقتي وستبقين في القلب دائمًا ولو فرقتنا الأيام.

وئام: لا لن أسمح لها أن تفرقنا أبدًا.

يمنى: هذا هو الأفضل و أنتِ تعرفين.

وئام: حاليًا فقط.

يمنى: ماذا؟

وئام: أقصـد أننا أصـدقاء حتى نهاية العمر بإذن الله وسـامحيني إن قسوتُ عليكِ ولكن يعلم الله مقدار حبي لك.

يمنى: لا عليك، إنني أحاول البدء من جديد، سأتركك الآن حتى لا أتأخر، فأنتِ تعلمين موظفي شؤون الطلبة هداهم الله.

مر الأستاذ جواد بنا فقال:

- علمتُ أنكِ ستنتقلين إلى جامعة أخرى، لا تنسينا.

يمنى: كلا، لن أنسى الجامعة وكل أساتذتي بالتأكيد.

جواد: بالتوفيق إن شاء الله.

قلت في نفسي فلتسير الأمور كما قدر الله لها لن أنشغل كثيرًا.

انتقلت إلى بيت جدتي وبدأ العام الدراسي، شعرتُ بوحشة ووحده فأين وئام ومناقشاتنا وشجارنا أثناء حل المسائل الرياضية وتعاوننا في معمل الكيمياء لتحقيق المعادلات، و أين جواد كان أثناء شرحه للمحاضرات له حضور مميز وآخاذ فلا

أشـــعر أبدًا بالوقت عندما يتحدث، إن الوقت يمر طويلًا بعيدًا عن وئام، كنت كمن يراقب ساعة رملية أبت حباتها أن تتحرك.

مَرَّ الفصـــل الدراســي الأول أخيرًا فعدت أقضــي العطلة مع أبي وأمي لقد اشــتقتُ إليهم كثيرًا، فبالرغم من زياراتهم المســتمرة لي إلا أنني افتقدت بيتنا وغرفتي ومدينتي وكذلك جامعتي.

قررت أن أذهب لأُفاجئ وئام فأنا أعلم أنها تحب المكتبة والكتب كثيرًا حتى في العطلات تذهب للقراءة، ذهبتُ إلى مكتبة الجامعة، أعلم أنها ستفرح كثيرًا برؤيتي.

وصــلتُ الجامعة وقبل أن أقترب من المكتبة رأيتُ ما جعلني أتســمر مكاني، لبعض الثواني شــعرتُ أن قلبي يعتصــر من الداخل، واستدرتُ لأعود من حيث أتيت.

كيف يُعقل هذا؟! وئام تقف هكذا وتتكلم وتضحك هكذا مع جواد! كانت تلومني وتوبخني بدافع الغيرة وليس الحب، هل أفسحتُ لها الطريق بانتقالي؟ ظللتُ أتحدث إلى نفسي والدموع تملأ عيني، يا لمرارة ما رأيت، شعرتُ كما لو أن سكين غرزت في صميم قلبي يا لخيانة الأصدقاء، واصطدمتُ فجأة دون أن أرى أنها وئام، فقالت:

- ما هذه المفاجأة الجميلة يا يمنى؟ أنتِ هنا إذن، لماذا لم تتصلي بي لأقابلك؟

يمنى: كنت آتية لرؤيتك ولكن شعرتُ بتعب مفاجئ، يبدو أنه من أثر السفر.

وئام: شفاكِ الله حبيبتي، حسنًا هيا لنشرب بعض القهوة لعل

تعبك يزول.

يمنى: فلنجعلها في يومٍ آخر لأني مجهدة جدًا.

وئام: هيا لقد اشتقتُ لكِ ولحديثنا كثيرًا، ألم تشتاقي لي؟!

يمنى: بلى ولكن أشعر أن الإعياء بلغ منى مبلغًا، أُعذريني ولا تقلقي، الأيام كثيرة إن شاء الله.

وئام: إن شاء الله سنتقابل كثيرًا ولا بد.

ومرَّت العطلة وتعمدتُ أن أتجنب فيها لقاء وئام، متعللةً بانشغالي تارة وبظروف عائلية تارة أخرى.

عدتُ إلى جامعتي عند جدتي وقد عصف بقلبي ألمٌ لا يعلم شدته إلا الله وحده.

لكني قررت أن أشد على قلبي جيدًا وأحكم إغلاقه حتى يلتئم

وليفعل الله ما يريد، فلتتهنى وئام مع السيد جواد، سأنتظر نصيبي ومن قدر الله إن تُساق له تلك المشاعر ولكن في الحلال.

انتهي العام الدراسي بفضل الله وتخرجتُ بامتياز مع مرتبة الشرف، ولكن لم أفضّل المشاركة في حفل التخرج، فعدتُ إلى مدينتي وأهلي، فرحوا جدًا بتفوقي، وقراري أن أُكمل الدراسات العُليا أسعدهم جدًا، ولأن الله جبار يجبر القلوب المنكسرة ودائمًا هناك رحمة في كل ابتلاء قد لا ندركها ولكنها موجودة وقد يأتيك العوض من الله بطريقة لا يمكن لعقلك مهما فكرت وخططت ورتبت أن تتخيلها، سبحانه الكريم الحليم الذي يعطي بحكمة ويمنع بحكمة.

فوجئت باتصال من وئام.

- السلام عليكم، كيف حالك يا يمنى؟

أجبتها: وعليكِ السلام يا وئام، بخير.

قالت برجاء:

- أريدكِ أن تقفي بجانبي كعادتك.

- خيرًا إن شاء الله.

- أريدكِ معي بحفل التخرج، أنتِ صـــديقتي الوحيدة ويجب أن تكوني معي.

حاولتُ التملص منها فقلت:

- تعلمين أني لا أحب مثل هذه الحفلات حتة إنني لم أحضر حفل جامعتي.

- أرجوكِ يا صديقتي، عهدتكِ دائمًا معي في عسري وفي يسري، لا أتخيل هذا اليوم بدونك، وإن أصررتي على عدم الحضور فلن أذهب أنا أيضًا.

- حسنًا حبيبتي، سأكون بجانبك ولن أخذلك.

- شكرًا لكِ يا أجمل يمنى في الدنيا، حسنًا سنذهب معًا لنختار سويًا رداءً مناسبًا للحفل.

- ولماذا أختاررداءً! إنه حفل تخرجكِ أنتِ وليس أنا.

- أولًا هي كليتكِ أيضًا، وهذا يعني أنه أيضًا حفل تخرجك، ثانيًا أريد أن أحتفل بوجودكِ معي في هذا اليوم.

- بارك الله فيكِ يا صديقتي.

وانتهت المكالمة وأنا أفكرلمَ كل هذا يبدوا أنهم يخططون لشيء

ما هي وجواد، عمومًا لن أخسر صديقتي من أجل رجل، سأقوم بواجبي معها حتى النهاية وسأضغط على قلبي مهما يكن.

وبالفعل اخترتُ لوئام ثوبًا مخمليًا باللون الأحمر القاني ونسقتُ معه حجابًا طويلًا منسدلًا وردي اللون زاده جمالًا فوق الجمال، ورغم اعتراضها الشديد عليه إلا أنها بدتْ فيه باهرة الحُسن. وقد أصرَّت هي أن أرتدي فستانًا بنفس لون حجابها اختارته بعناية لي، كان رائعًا بحق يشبه فستان الأميرات وزينه الأبيض اللؤلؤي الذي اعتمدته في لون خماري.

وجاء يوم الحفل، ارتديتُ ثيابي و أنا لا أدري أذاهبة بها إلى حفل تخرج أم حفل زفاف! وصلتُ القاعة، فهالني كم الزينة والأزهار في كل مكان، ضحكتُ في نفسي وعلمتُ أن وئام معها كل الحق في

اختيار ملابس سهرة، يبدو أن حفلات التخرج هذه الأيام تنافس حفلات الخطوبة والزواج.

ثم رأيته وكان في أبهى حُلة ويتحدث أيضًا في الهاتف أغلب الظن أنه يحدثها، خفضتُ نظري وصرفته بعيدًا عنه ثم استغفرت ربي، الآن أنا متيقنة أنها ليست بحفلة تخرج، ورغمًا عني أصابني الضيق، لماذا لم تصارحني وئام بذلك؟ أتظن أني من تلكم الفتيات التي ستنهار وتحزن لأن أحدهم قرر أن يختارها بدلًا مني! قررتُ أن أترك الحفل، لم أستطع أبدًا تحمل كل هذا.

وفي طريقي نحو الباب الخارجي وجدتُ ما جعلني أتسمر مكاني ولم أستطع التحرك أو التحدث، إذ بجواد يقترب كفارس مقدام على جواده يمشي بتأنق كعادته ونظراته الأخاذة ولكنه ليس

وحده هذه المرة بل معه أبي! كيف ذلك ومن أين يعرفه؟! ومن خلفهم جدتي وأمي وأخواتي ووئام وخالتي أم وئام، ماذا يحدث؟ أشعر أن عقلي توقف عن التفكير.

وفي صباح اليوم التالي حضرتْ وئام إلى البيت لقد طلبتُ منها توضيح كل التفاصيل ولكنها كانت استغلالية بعض الشيء وفضولية.

- كيف حدث كل هذا! لم أستطع تصديق كل ما حدث؟ كيف فعلتم ذلك معًا دون أن أشعر؟!

وئام: اهدئي أولًا يا زوجة خالي الحبيب.

يمنى: لم أفهم كيف حدث كل هذا!

وئام: سأحكي لكِ كل ما تريدين لكن بعدما تحكي لي ما حدث في

امتحان مادة الميكروبيولوجي.

يمنى: يا لفضـــولك، إنكِ تســـتغلين الموقف ولكن ســـأحكي لك، عندما خرجت من اللجنة كنتُ في معية الله لم أهتم لمَ حدث ولم أحزن وقلت فليفعل الله ما يشـــاء، ذهبتُ مع الأســـتاذ عبد الرحمن إلى اللجنة الثانية، ولأنه من ســـلَّمني إلى مر اقبي اللجنة فقد اهتموا بي وعاملني كل من في اللجنة معاملة غاية في الرقي، وليس هذا فحســـب لقد اكتشـــفتُ أن هذه اللجنة مخصـــصـــة لأولاد أعضـاء هيئة التدريس، لذا فقد كانت العينات من أوضح ما يمكن.

وئام: سبحان الله, وكان فضل الله عليكِ عظيمًا.

يمنى: ونعم بالله، الحمد لله ربِّ العالمين توفيقًا من الله عجزتُ

وســأعجزعن شــكر، هيا إذن أخبريني كيف فعلتم كل هذا معًا ودون أن أشعربشيء؟

وئـام: أولًا جواد هو خـالي العزيز، عنـدمـا رأيـتُ إعجـابكِ بـه لم أخبرك عنه لأرى كيف ســتتصــرفين عندما يطرق الحب باب قلبك، وحتى لا تفكري به كلما رأيتني، أردتُ أن أختبرك وتفوقتي كالعادة، ثانيًا عندما انتقلتِ من الجامعة صرَّح لي خالي بإعجابه بكِ وبأخلاقك فأخبرته أن ينتظرنهاية العام ليتقدم ويطلبك من أبيك، وبالفعل بعد انتهاء الامتحانات وقبل عودتكِ إلى هنا من بيت جدتك، هاتفتُ جدتك وأخبرتها بكل شــيء من البداية فقالت لي أن نذهب لبيت أهلك مع خالي وأهلي ونطلبك بشــكل رسمي وهي ستخبروالديك بمو افقتك، وبالفعل تم كل شيء كما

خططتُ مع جدتك، إنها جدة عظيمة بارك الله فيها كانت ترتب معي دون معرفتكِ لتكتمل المفاجأة.

يمنى: كل هذا يحدث و أنا معها ولم أعلم! ولكنها أجمل مفاجأة حدثت لي في حياتي كلها.

وئام بخبث: أعلم ذلك.

يمنى: أكملي كل التفاصيل.

وئام: قبل حضــورك من بيت جدتك رتبنا القاعة والزينة وحتى ثياب الحفل التي سترتدينها والباقي تعرفينه.

عدتُ بذاكرتي إلى هذا اليوم القريب، أشــعر أنه كان حلمًا، أذكر أني كنت ســأغادر الحفل حينما جاء أبي ممســكًا بيد جواد وقال لي:

- يا يمنى إن الأستاذ جواد قد خطبكِ مني وقد و افقت، ما رأيك؟

عقدت المفاجأة لساني، فردتْ وئام قائلة:

- السكوت علامة الرضا يا عمي.

والتقط جواد الخيط:

- ما رأيك يا عمي أن نعقد قراننا اليوم؟ بل الآن.

- أنا لا مانع عندي، ولكن رأي العروس أولًا.

قالت جدتي وهي تغمزلي:

- ألم تقل وئام أن السكوت علامة الرضا؟

وارتفعت زغاريد الفرحة تملأ قلبي قبل أن تملأ الأجواء، و أقبلت أمي وجدتي وأخواتي يحتضـــنوني و أنا أنظر إلى جواد باندهاش وهو يبتسم ابتسامته الرقيقة كعادته.

مَرَّ اليوم ولم أعلم كيف مر! لقد كاد قلبي يتوقف من شـــدة الفرح، وها قد جاء من يســتحق أن أفتح له جميع الأبواب وأن يدخل القلعة كما يشـــاء، حقًا ما أجمل أن تعيش كل ما تتمناه دون أن تغضب الله، أن تحب وتعشق دون ذنوب تتراكم أو خوف من انكشاف أمرك، كانت البداية حرمان ومنع من الحرام فكانت النهاية عطاءً وخيرًا كثيرًا، قال الله تعالى «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِـــبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْـــبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَـيْءٍ قَدْرًا»[الطلاق 2.3].

كنتُ ســعيدة جدًا مع جواد فهو شـخص طموح وعملي ذو خلق وعلى قدر كبير من الالتزام الديني، توفت والدته وهو في ســن

السادسة فكان يحتاج إلى الرعاية والاهتمام فاستأذنت أم وئام أباها أن تهتم به وترعاه، وكانت وئام بعمر السنة وقتها فتربيا معًا وكبرا معًا كأخوة وأصدقاء وكانت علاقتهم جيدة معًا.

كبر جواد وقرر السفر إلى أمريكا لدراسة الفيزياء الطبية ولقد استفاد كثيرًا من دراسته هناك وعاد إلى بلده ليطبق ما تعلمه وليساعد أبناء بلده على التطور فالعلم كل يوم في جديد، عندما سافر كنا أنا ووئام بالصف الثاني الإعدادي وعندما عاد كنا في الجامعة فهو يكبرنا بخمس أعوام ولكن كان عقله أكبر بكثير، فهو يتحدث بهدوء وثقة وبشكل علمي ومنطقي فيشعر من أمامه بمدى ثقافته ووعيه وإدراكه، أراد جواد تغيير أشياء أساسية كانت موجودة منذ الأزل، أراد تغيير نظام التعليم النظري إلى

تعليم تطبيقي عملي بما يتو افق مع احتياجات سـوق العمل، ما الفائدة من دراســة البكتيريا وتصــنيفها في حين يمكننا العمل بشــكل عملي على خصــائصــها وتطوير المضــادات الحيوية بما يتناســب مع تطورها، ما الفائدة من دراســة نظريات انعكاس وانكسـار الضـوء في حين يمكننا الاسـتفادة من ظواهر مثل هذه في تطوير المنـاظير وبعض الأجهزة الطبيـة والكثير الكثير الـذي يمكننا الاسـتفادة منه بشـكل عملي تطبيقي، ولكن فلسـفته هذه أغضـبت الكثير من أسـاتذة الجامعة كبار السـن الذين يقتنعون فقط بـالنظريـات والكتـب واســتفـادتهم الكبرى هي أن الطلاب يشــترون مـا يكتبون من الكتـب والملازم حتى يحصــلوا على الـدرجـات، وفي النهـايـة يصــبح لـدينـا الكثير من الخريجين الغير

مؤهلين لسوق العمل، فتغلق المصانع أبوابها أو تباع للأجانب الذين يفهمون أكثر منا، وتستمر البطالة في التزايد والأسعار في الغلاء ويتدهور الوضع الاقتصادي، فليس لدينا من الشباب الواعي القادر على دفع عجلة التنمية إلى الأمام، فلذلك قرر جواد أن نتزوج ونذهب إلى أمريكا للعيش هناك وليكمل دراسته هناك فالمناخ العلمي أفضل وهناك فرصة عمل جيدة براتب جيد فكان صعبًا عليه رفضها، وكان هذا أول اختبار لي مع جواد في حياتنا المشتركة فالزوجة عليها طاعة زوجها ومشاركته والذهاب معه أينما رحل، ولكن أهلي وأحلامي ودراساتي العليا التي كنت سأقدم عليها والعلوم التي أحبها، حقًا هذه هي الحياة لا تصفو من الكدر وكأنها تقول لي لا تنسي وتأخذك الفرحة بعيدًا

ما زال هناك اختبارات و ابتلاءات أمامك فالحياة كلها رحلة من دار الفناء إلى دار البقاء ثم إلى نعيم أو لا قدر الله إلى الشقاء، وتلك الرحلة عبارة عن محطات في كل محطة نقابل ناس ونفقد آخرين نحقق أحلام و إنجازات أحيانًا ونخفق ونفشل أحيانًا أخرى، نتقلب بين الليل والنهار بين الأمل واليأس بين الحزن والفرح.

وتمُرُّ اللحظات بما تحمله من ذكريات كما تمرُّ الصور من نو افذ القطار بحلوها ومرها استخرت كثيرًا وكان الهم والقلق يملأ عيني فرآني والدي بعد صلاة الفجر، فتحدث إلي قائلًا: - لقد فاتحني جواد في موضوع السفر هذا وأعلم أنه ما يشغل بالكِ ويقلقك.

يمنى: ما رأيك أنت يا أبي؟

سـيد: حقيقة أنا كأب لا أريدكم تبتعدوا عني، أريد رؤيتكم دائمًا أنتِ وأخوتكِ حولي سعداء في بيوتكم هذا أقصى ما أتمناه وهذا ما يسـعدني أنا، ولكن سـعادتكم أنتم أدرى الناس بها، تعرفون أين مصـلحتكم وتسـعون إليها بما يرضـي الله وعلى الزوجة الصـالحة طاعة زوجها شـريك حياتها وأن تكون معه في العسـر واليسـر، أنا لن أقول لكِ اذهبي أو لا تذهبي ولكن فكري جيدًا بمسـتقبلكما معًا وما تريه أنفع لكما، أسـأل الله أن يقدر لكما الخير، فزوجكِ هذا ذو خلق ويعرف الأصـول جيدًا لقد فاتحني من قبل في موضـوع السـفر وأخبرته أن تقررا معًا كما أخبرتك.

ابتسمتُ ابتسامة رضا وفخر بزوجي الذي شرفني أمام أبي ولكن

كانت بداخلي أفكارًا تتقلب وتغلي وتكاد تنفجر كالبركان، صليتُ الفجر وذهبت إلى النوم واستيقظتُ على صوت جدتي وهي توقظني لأنني تأخرت في النوم.

الجدة: ما كل هذا النوم أيتها العروس؟

يمنى: لقد نمتُ بعد الفجر يا جدتي.

الجدة: أهو موضوع السفر الذي كنتِ تفكرين فيه؟

يمنى: هل أخبرَتكِ أمي؟

الجدة: أمك و أبيك وقالا لي لكي أتحدث معك.

يمنى: وما رأيك أنتِ يا جدتي؟

الجدة: لن أقول لكِ افعلي ولا تفعلي، ولكن سأقول لكِ لو كنت مكانك لسافرت مع زوجي الذي أحبه إلى آخر العالم ولا أُبالي فهو

يحبني و أنا أثق فيه وفي دينه وخلقه ور أيتُ منه ما يطمئنني، فلنذهب ولنجرب فالحياة صعبة في كل مكان، وهو لا يريد الذهاب من أجل المال فقط بل أيضًا يريد علمًا حقيقًا يفيد به المرضى والأطباء، يريد تطوير الأجهزة وتسهيل طرق العلاج، فغايته شريفة مثله ولكِ الحق في القبول أو الرفض وهو لن يجبرك علي شيء وإذا رفضتي السفر سيعيش معكِ هنا فهو لن يتخلى عنك، فماذا ترى الأميرة الجميلة؟

طأطأتُ رأسي في صمت، فلنسافر وليفعل الله ما يريد ولتكن التضحية من أجله والأجر والثواب من الله.

إِذا ضاقَت بِكَ الأَحوالُ يَوماً

فَثِق بِالواحِدِ الفَردِ العَلِيّ

وَلا تَجزَع إِذا ما نابَ خَطبٌ

فَكَم لِلّهِ مِن لُطفٍ خَفيِّ

حانت لحظة المغادرة وتركنا البلاد والأهل والأصحاب كان الموضوع صعبًا وقاسيًا وكأنك تترك جزء منك هنا، هذا الجزء يحاول جذبك بأقصى قوته ولكنه جزء ضعيف فلا يستطيع إلا أن يؤلمك.. يمزق داخلك، إحساس الفراق مؤلم تشعر بافتقادك لكل شيء حتى رائحة تراب بلدك وشوارعها إحساس لا يدركه إلا من غادر بلده وأهله، ولكن أحيانًا تضطرك الظروف إلى الغربة، ولكن إذا كان معك من تحب فهذا سيخفف عنك كثيرًا، وصلنا إلى المطار وكان هناك من ينتظرنا فالمؤسسة التي سيعمل بها جواد وفّرت لنا سيارة مع سائق بالإضافة إلى سكن متوسط،

ذهبنا إلى البيت وكان مريح وهادئ وحوله خضـــرة لطيفة مريحة للعين فأحببتُ المكان منذ أن رأيته وهذا ما أراح جواد جدًا فقد كان قلقًا علي من التجربة بشكل عام.

وفي صـــباح اليوم التالي ذهب جواد إلى عمله و أنا قررتُ أن أتحرك حول المنزل لأتعرف على المكان وتعرفتُ على جارة لنا كانت عجوز لطيفة تســكن مع زوجها ولديها ولدين متزوجين، لقد ذكرتني بجدتي كم اشتقت إليهم جميعًا.

مَرَّت الأيام وبدأت أشــعر بالملل فعرض علي جواد أن أقدم في الجامعة و أبدأ دراســة الماجســتير استحســنتُ الفكرة ولكن صُدمت عندما علمتُ أنه لا يوجد أقسام مزدوجة، يجب دراسة فرع واحد فقط، فكيف لي أن أدرس فرع واحد فقط و أترك

البقية! لله الأمر من قبلُ ومن بعد، فصليتُ استخارة و أنا لا أعلم أي العلوم سأختار؟ ذهبتُ مع جواد وسبحان الله لم أجد مكانًا شاغرًا إلا فقط في قسم الميكروبيولوجي فالتحقتُ به وقلت الخيرة فيما اختاره الله.

مَرَّ العام الأول و أنا أعمل بكل جِدّ في المعمل مع أبحاثي مما أثار إعجاب رئيس القسم بي، وعندما حدثتْ جائحة الكورونا اختارني لأكون ضمن اللجنة التي عملت على لقاح فيزر حتى تم اعتماده وتم تكريمي بعد ذلك وكان جواد فخورًا جدًا بي فدائمًا ما يشجعني ويساعدني، وكان هو أيضًا ناجحًا في عمله ويحبه رئيسه في العمل مما أثار غضب زميله في العمل، وبالفعل قام بالكثير من المو اقف التي تشي بعنصريته ولكنه كان غير مؤذي

فلم يأبه له جواد حتى أوقعه في مشـــكلة كبيرة كادت تنهي حياتنا في أمريكا، كان جواد مســـؤول عن أبحاث مهمة في معمله وقام زميله هذا بتســـريبها من جهاز جواد وتم اتهام جواد بالأمر، انهار جواد وشـعر أنها النهاية ولكني كنتُ أطمئنه، فدائمًا هناك لُطفٌ خفي لا نعلمه، ولكنه موجود وهذا يقينى دومًا في ربي، فكن مع الله يكن معك كل شيء.

تمت بحمد الله وفضله